فضل التوحيد وأجره

إن للتوحيد فضائل عظيمة، وآثارًا حميدة، ونتائج جميلة، وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات التوحيد وفضائله. فمن فضائله:

١- تكفير الذنوب، وغفرانها: لقوله ﷺ في حديث أنس رضي الله عنه: «قال الله تعالى: يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة» رواه مسلم (٢٦٧٧) والترمذي (٣٥٤٠) وغيرهما.

٢- أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة، ودفع عقوباتها.

٣- أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والأمن التام، في الدنيا والآخرة:

لقوله تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .

٤- أنه السبب الوحيد فقط لنيل رضى الله وثوابه، والفوز بشفاعة نبيّنا محمد ﷺ: لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنه سأل النبي ﷺ: مَنْ أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه**» رواه البخاري (٩٩) وغيره.

٥- أنه إذا كمل في قلب المؤمن يمنع من دخوله النار بالكلية: لقوله ﷺ: «**مَن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخلهِ الله الجنة على ما كان من العمل**» متفق عليه. البخاري (٣٤٣٥)، مسلم (٢٨).

٦- ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين، والتعلق بهم، وخوفهم، ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي، والشرف العالي.

معنى الإيمان وأركانه

الإيمان في اللغة: التصديق.

وفي الشرع: اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، وهو بضع وسبعون شعبة، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

أركان الإيمان

أركان الإيمان ستة:

أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَرِ خيرِه وشَرِّهِ من الله تعالى.

ودليل ذلك: حديث جبريل الطويل حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان؟ فقال له رسول الله ﷺ : «**الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره، وشره**» مسلم (٨) والبخاري نحوه (٥٠).

أقسام التوحيد

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

١- **توحيد الربوبية:** وهو اعتقاد أن الله سبحانه وتعالى خالق العباد ورازقهم، ومحييهم ومميتهم.

وهو توحيد المعرفة والإثبات أي إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه.

والدليل عليه: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ [يونس: ٣١] .

٢- توحيد الألوهية (توحيد العبادة): وهو إفراد الله بالعبادة؛ لأنه المستحق لأن يعبد لا سواه، مهما سمت درجته، أو علت منزلته.

وهو توحيد الطلب والقصد.

والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال ﷺ: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا**» البخاري (٢٨٥٦)، مسلم (٣٠).

٣- توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد الجازم أن ما أخبر به الله عز وجل في كتابه من أوصافه العليا وأسمائه الحسنى، وما أخبر به رسوله ﷺ عنه هي كما تليق بجلال الله وعظمته وكبريائه، إثباتًا بلا تمثيل، وتنزيهًا بلا تعطيل، وأن لا يتجاوز فيها القرآن والحديث.

والدليل على ذلك: قوله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ﴾ نفيٌ عن التمثيل، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] إثباتٌ لأسمائه تبارك وتعالى.

معنى لا إله إلا الله:

معناها: لا معبود بحق في الوجود إلا الله. «**فلا إله**» : نفي لجميع المعبودات الباطلة، «**وإلا الله**»: إثبات للمعبود الحق جل جلاله.

والدليل على ذلك: قوله تعالى على لسان المشركين: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَٰلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

شروطها:

١- **العلم المنافي للجهل**: فمن لم يعرف معناها فهو جاهل بمدلولها.

ومعناها: البراءة من كل ما يعبد من دون الله، وإخلاص العبادة لله وحده.

والدليل قوله تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾ [محمد: ١٩].

ومن السنة: قوله ﷺ: «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**» رواه مسلم من حديث عثمان بن عفان (٢٦).

٢- **اليقين المنافي للشك**: لأن من الناس من يقولها وهو شاك فيما دلت عليه.

والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: ١٥].

ومن السنة: قوله ﷺ: «**أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة**» رواه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٧).

٣- **الإخلاص المنافي للشرك**: فإن من لم يخلص أعماله كلها فهو مشرك شركًا ينافي الإخلاص.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

ومن السنة: قوله ﷺ: «**أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**» رواه البخاري من حديث أبي هريرة (٩٩) وقد مضى.

٤- **الصدق المنافي للنفاق:** لأن المنافقين يقولونها، ولكنهم لم يطابق قولهم ما في جنانهم، فصار قولهم كذبًا، لمخالفة الظاهر الباطن.

۞ والدليل قوله تعالى حاكيًا حال المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١١] .

۞ **ومن السنة:** قوله ﷺ : «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار**» البخاري (١٢٨) بهذا اللفظ من حديث معاذ بن جبل.

٥- **القبول المنافي للرد:** أي: قبول ما دلت عليه هذه الكلمة، وعدم رده لأي سبب من الأسباب.

۞ والدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦] .

۞ **ومن السنة:** حديث الأرض التي قبلت الماء، والثانية الأجادب، والثالثة القيعان، قوله ﷺ : «**فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِم وعلّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به**» متفق عليه البخاري (٧٩)، مسلم (٢٢٨٢).

٦- **الانقياد المنافي للترك:** ويحصل الانقياد بالعمل بما فرضه الله، وترك ما حرمه الله، والتزام ذلك، لأن الإسلام حقيقته أن يسلم العبد بقلبه وجوارحه لله، وينقاد له بالتوحيد والطاعة.

۞ والدليل قوله تعالى: ﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ٢٢] .

۞ **ومن السنة:** قوله ﷺ : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا**

ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى» متفق عليه البخاري (٢٥)، مسلم (٢١) من حديث ابن عمر.

٧- **المحبة المنافية لضدها:** فلا يحصل لقائلها معرفة وقبول إلا بها.

❁ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

❁ **ومن السنة:** قوله ﷺ : «**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار**» رواه البخاري من حديث أنس (١٦).

❁ معنى محمد رسول الله ﷺ

هي طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع.

❁ والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [الحشر: ٧] .

❁ وقوله ﷺ : «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**» من حديث عائشة أخرجه البخاري تعليقاً: البيوع – باب النجش، ووصله مسلم (١٧١٨).

❁ تعريف العبادة

❁ **لغة:** هي التذلل والخضوع، يقال: طريق مُعَبَّدٌ أي مُذَلَّلٌ.

❁ **شرعًا:** قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل.

وقال أيضًا: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، الظاهرة والباطنة.

فمن أمثلة العبادة الظاهرة: الصلاة والذبح، لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

وكذلك الركوع والسجود: لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴾ [الحج: ٧٧] .

ومن أمثلة العبادة الباطنة: الخوف والرهبة والتوكل:

فدليل الخوف قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥] .

ودليل الرهبة قوله تعالى: ﴿ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ [النحل: ٥١] .

ودليل التوكل قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] .

أركان العبادة

للعبادة ركنان أساسيان:

١- **نهاية الخضوع والذل:** والدليل قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [الزمر: ٥٤] .

٢- **غاية المحبة:** والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥] .

✿ شروط العبادة :

للعبادة شرطان:

١- أن يفرد ربه بجميع أنواع العبادات مخلصًا لله فيها: والدليل قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣] .

٢- أن يأتي بالعبادة على الوجه الذي سَنَّهُ رَسُول الله ﷺ قولاً أو عملاً: والدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

